مقدّمة

لقد حكم يزيد بن معاوية ثلاث سنين، وخلال هذه المدّة إرتكب الكثير من الجرائم، ففي السنة الأُولى قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وفي السنة الثانية أباح المدينة المنوّرة لجيش مسلم بن عقبة، حيث قتل فيها أولاد المهاجرين والأنصار، وأكثر فيها السفك والهتك، وفي السنة الثالثة أمر برمي الكعبة المشرّفة بالمنجنيق حتّى احترقت أستار الكعبة.

فبعد معركة الطف الأليمة والصدمة النموية التي صُدمت بها الأمة الإسلامية بفقد سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وصحبه وسبي نسائه، بدأ الشعور بالذنب يتنامى بين الناس، فكان الندم حليفهم حتى تُرجم ذلك الإحساس بتنظيمات معارضة ضد حكومة يزيد والقيام بكثير من الثورات والحركات، منها ثورة أهل المدينة التي عرفت فيما بعد بواقعة الحَرة وقد حدثت بعد واقعة الطف، أي في سنة ٦٣هـ . وهي حدث مرير ومحزن للغاية، وأمر ثقيل جداً وتعد حقيقة من فجائع التاريخ، وواحدة من أبشع الحوادث في عهد بني أمية، كتب عنها بن مُسكويه قائلاً: «واقعه الحرّة من أشد وأصعب الحوادث عنفاً».

وكان سبب ثورة أهل المدينة هو ذهاب عدة منهم إلى الشام بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصاري ـ الذي يُعرف أبوه بغسيل الملائكة ـ على أثر الأخبار التي وردت إلى المدينة المنوّرة والتي تتحدّث عن استهانة يزيد بالإسلام والمسلمين، فذهبوا إلى مقرّ الحكومة في الشام، واطّلعوا على أعمال يزيد عن قرب، ورأوا بأعينهم ما يقوم به من هتك لحرمة الإسلام والمسلمين، وشربه الخمر ولعبه القمار وملاعبته للكلاب والقردة.

ولمّا عادوا إلى المدينة نقلوا لأهلها ما شاهدوه في الشام وحدّثوا أهلها بفساد البلاط الأموي، وأخذوا يحثّون الناس على الثورة والتمرّد على يزيد، فوقف عبد الله بن حنظلة أمام أهل المدينة وخاطبهم: «فو الله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة» (تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٢٩٤)، وكان عبد الله بن حنظلة شريفاً فاضلاً عابداً استفاد من موقعه الاجتماعي بين الناس في دعوتهم للالتحاق به والالتحام معه لمحاربة يزيد وبني أمية، وانتخبه أهل المدينة المنورة حاكما عليهم،

وبايعوه في اليوم الأول من شهر محرم الحرام عام ٦٣ هـ، وطردوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان، حاكم المدينة المنورة وعامل يزيد فيها، ثم ألقي القبض على بني أمية والقريشيين المتفقين مع بني أمية، وأعدادهم تصل إلى الألف، فحُبسوا في بيت مروان بن الحكم، ثم أرسل حاكم المدينة المنورة قميصه الممزق قطعة قطعة إلى يزيد، وبعث له برسالة كتب فيها: ((استصرخنا فلقد أخرج أهل المدينة المنورة أهلنا منها)).

لما وصل هذا الخبر إلى يزيد، أرسل إلى المدينة المنورة رجلاً يدعى مسلم بن عقبة يقود جيشاً جرّاراً، وقد كان متعطشاً للدماء لا يرحم، وأمره بقمع الاضطرابات في المدينة المنورة، وعلى رغم أنه كان طاعناً في السن، قد ناهز عمره التسعين عاماً، إلا أنه قَبِل هذه المهمة، وأمرت الحكومة أن ينادى: «تعبّأوا أيها النَاس لقتال أهل الحجاز وخذوا عطاءكم، فكان كل من يتعبأ ويستعد، يعطى له مائة دينار في نفس الوقت، فلم تمض إلا فترة قصيرة حتى اجتمع حوالي اثني عشر ألف رجل، وفي رواية أخرى: أنه قاد (٢٠) ألفا فارساً وسبعة آلافٍ راجلاً، وأعطى يزيد جائزة مائة دينار لكل فارس ومائة دينار لكل راجل، وأمرهم أن يلتحقوا بمسلم بن عقبة، وساير يزيدُ مسلمَ بن عقبة وجيشه حوالي فرسخاً ونصفا، ثم رجع، وكان بين الجيش من المسيحيين الشاميين أيضاً، كانوا قد استعدوا لحرب أهل المدينة المنورة، وأوصى يزيدُ مسلمَ بن عقبة في ما يخص أهل المدينة المنورة فقال: ادع القوم ثلاثا، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرتَ عليهم، فأبِحْ المدينة ثلاثا، ثم أكفف عن الناس، وخذ البيعة من الناس، أن يكونوا عبيداً قناً ليزيد، ومتى ما خرجت من المدينة المنورة فاتجه نحو مكة.

فقَدِم المدينة ونزل (حرة واقم) - إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية سميت باسم رجل من العماليق اسمه (واقم) نزلها في الدهر الأول، والمدينة تقع بين حرتين، (حرة واقم) و(حرة ليلى)-، و«الحرّة» في اللغة: الأرض المحصبة وذات التضاريس الصخرية الغير متكافئة، وتحتوي على صخور سوداء وكأنّها محروقة، واجتيازها صعب للغاية، فأخذت الواقعه اسمها من هذه المنطقة، حيث هاجم الجيش الشامي الذي يمثل حكومة يزيد، المدينة المنورة من الضلع

الشرقي لها، يعني من الجهة المحصبة المليئة بالتضاريس والصخور.

وكان من غير المحتمل أن يشن جيش الشام هجومه من الجهة الوعرة والصخرية التي تقع في الضلع الشرقي من المدينة المنورة، أو يحققوا شيئا إن شنوا هجومهم من تلك الجهة، لكن غزو الجيش بدأ من تلك المنطقة على أهل المدينة المنورة، وأخيراً، مُنيَ أهل المدينة المنورة بالهزيمة، وانتصر جيش مسلم بن عقبة، فدخل جيشه إلى المدينة المنورة، وأعملوا فيهم السيف، ثم قاموا بجرائم بشعة يندى منها الجبين، من اغتصاب للنساء وقتل للأطفال والشيوخ وبقر لبطون الحوامل.

وفعل مسلم بن عقبة (كما أمره يزيد بن معاوية)، فبعد أن دخل جيش الشام إلى المدينة المنورة قال: لكم أن تفعلوا ما تشاؤون، فأغاروا على المدينة ثلاثة أيام وأبيحت المدينة المنورة بهذا النحو ثلاثة أيام لجيش الشام، وتعرضوا للسلب والنهب والاستغلال من جميع الأطراف، ولم يكن الرجل والمرأة في مأمن من الأذى والضرر.

فكان الناس يقتلون وتنهب وتصادر أموالهم وممتلكاتهم. والأشد و الأنكى من قتل ونهب أهل المدينة المنورة التي فيها الجيل المتبقي من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار، هي أن هنا العسكر الجشع واللامبالي قام باغتصاب النساء، فهتَك النواميس وأعراض أهل المدينة المنورة، فعند هجوم جيش أهل الشام على بيوت مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هتكوا حرمة الآلاف من النساء، فولدن الآلاف من الأطفال لآباء غير معروفين، ولهذا أطلق على ذريتهم تسميتهم «بأبناء الحرة».

وهكذا امتلئت شوارع المدينة بجثث القتلى التي وصلت دمائها إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم على الأطفال الذين في أحضان أمهاتهم بالموت، وتعرض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للتعذيب وسوء المعاملة، وهتكت حرمتهم، وقد بلغ التدمير وشدة التجاوزات في قتل مسلم بن العقبة أنهم أسموه بعد ذلك «بمسرف بن عقبة»، وارتَدَوا على قتلاهم ثياب السواد، وكان يسمع من داخل منازلهم صوت النياحة والبكاء لعام كامل، حزناً على قتلاهم، لم ينقطع أبداً.

قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً، فقال: والله لتخرجن

إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا.

فقالت له: ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه يوم بيعة الشجرة على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه، فما أتيت شيئاً، فاتّق الله، ثمّ قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيء لافتديتك به.

قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه، فجذبه من حجرها فضرب به الحائط، فانتثر دماغه في الأرض، قال: ولم يخرج من البيت حتّى أسود وجهه، وصار مثلاً (الإمامة والسياسة ١/ ١٨٤).

نقل ابن قتيبة: «أنه قتل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية صحابياً، فلم يبق بعد ذلك اليوم صحابياً بدرياً، وقتل من قريش والأنصار سبعمائة شخص، وقتل من سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرات الآلاف من القتلى»، وأغاروا على المدينة، وافتضوا ألف بكر، «فإنَّا للهِ وَ إنَّا اليهِ راجِعُونَ».

وروى سبط ابن الجوزي عن المدائني أنه قال: «بلغ عدد قتلى الحرّة يومئذ من كبار قريش و الأنصار و المهاجرين ووجوه الناس ومن الموالى سبعمائة رجل، ومن العبيد والإماء والرجال والنساء حتى وصل أعدادهم إلى عشرة آلاف، ووصلت الدماء إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامتلأت الروضة الشريفة ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها»، وقد عبر مجاهد عن شدة إراقة الدماء فقال: «التجأ الناس إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره، فكانت السيوف تنزل عليهم وتحصدهم».

وكانت هذه الواقعة المعروفة بواقعة الحرّة قبل هلاك يزيد الفاسق بشهرين ونصف.

موقف الإمام السجاد عليه السلام على الحياد في وقعة الحرة

من الغريب أن الأنصار مع احترامهم الكبير لأهل البيت عليهم السلام واستشهاد بعضهم مع الإمام الحسين عليه السلام واستنكارهم قتله وإقامتهم العزاء عليه، واستقبالهم المؤثر للإمام زين العابدين عليه السلام والسبايا . . لكنهم لم يستشيروا الإمام السجاد عليه السلام في خلع يزيد، ولا جعلوا ثورتهم بسبب قتل الحسين وآل الرسول عليهم السلام، مع أن ابن الزبير الموصوف بعدائه لعلي عليه السلام دعا الناس إلى نفسه وأظهر الطلب بدم الحسين عليه السلام. (الأخذ بالثار للسيد الأمين / ١٠) .

فكان الأحرى بالأنصار أن ينهضوا ثأراً لأهل بيته عليهم السلام لأنه ثأرٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجب على المسلمين كافة القيام به،

المدينة والتي شرحها الطبري: ٤ / ٣٧٢ بقوله: (لما أخرج أهل المدينة واليها عثمان بن محمد كلّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل! وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك؟ فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع).

مخالفة وصيّة النبيّ ﷺ بأهل المدينة

خرج جيش مسلم بن عقبة من المدينة المنوّرة محمّلا بالغنائم بعد أن اعتدى على أعراض النساء، متّجهاً نحو مكّة، ضارباً عرض الجدار وصيّة النبيّ ﷺ بمدينته الحبيبة، حيث قال ﷺ: «مَن أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (مسند أحمد ٤/٥٥، المعجم الكبير ٧/١٤٣ ى---x).

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186

شره وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شره.

وقيل لمسلم: (رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أُتيّ به إليك رفعت منزلته! فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئ قلبي منه رعباً). الروض المعطار / ٣٢٢ .

وأصرح منها رواية المناقب: ٣ / ٢٨٤: (سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن إنهاب المدينة؟ قال: نعم شدوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله ورأيت الخيل حول القبر وانتهب المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي ﷺ فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم أفقه عليه فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلي، ونرى القوم وهم لا يرونا)!

وفي رواية ابن البطريق في العمدة / ٣٢١: (لم يبق بها دارٌ إلا انتهبت سوى دار علي بن الحسين فإنه حماها رجلٌ من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام، فلما كان بعد الثلاثة الأيام أخرج له علي بن الحسين ملاءة قد جمع بها حلياً وثياباً من نسائه وقال له: خذ هذا من بنات رسول الله ﷺ، فقال له: لم أفعل ذلك لسبب بل أرجو الجنة، فقال: خذه ولك ما طلبت). انتهى .

وهذه الروايات تدل على أن الإمام عليه السلام كان في تلك الأيام في المدينة مع بعض عياله، ومضمونها متناسب مع شخصية الإمام عليه السلام وما ثبت عنه من تصرفاته في لقاءاته مع طغاة بني أمية، كيزيد ومروان عبد الملك،

وفيها دلالات مهمة، منها أن الإمام عليه السلام كان حريصاً في ذلك الظرف الخطر على زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة والدعاء في مسجده، بعد أن أهان حرمة المسجد والقبر الشريف وحوش أهل الشام، وربطوا خيولهم في أعمدته !

وتدل على أنه يوجد في جيش الشام أفراد شيعة يعرفون مقام أهل البيت عليهم السلام كالذي حمى بيت الإمام عليه السلام من النهب والعدوان، ولا بد أن يكون معه آخر أو آخرون، لهم نفوذٌ مّا في جيش يزيد !

كما أنها تكشف الموقف الحقيقي لمروان بن الحكم، فعندما أحضر بن عقبة الإمام عليه السلام وأخذ يشتم العترة النبوية عليهم السلام» أخذ مروان يؤمّن على شتمه ويحرِّضُهُ على قتله، حتى إذا دخل عليه الإمام عليه السلام وألقى الله على الطاغية هيبته والرعب منه، غَيَّر مروان كلامه فأخذ يمدح الإمام عليه السلام ! رغم حماية الإمام عليه السلام لعائلة مروان عندما طردهم أهل

ويجب عليهم خاصة لتحالفهم مع النبي ﷺ وبيعتهم له قبل هجرته، على حمايته مما يحمون منه أنفسهم وحماية أهل بيته وذريته عليهم السلام مما يحمون منه ذراريهم! (الطبراني الأوسط: ٢ / ٢٠٧)، لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل جعلوا سبب ثورتهم فساد يزيد وفقده الشرعية لأنه فاسقٌ فاجر، وكأن أباه معاوية كانت له شرعية ولم يكن فاسقاً فاجراً!

خطر جيش يزيد على حياة الإمام عليه السلام

استمرت مفاوضات جيش يزيد وأهل المدينة أياماً من أواخر ذي الحجة سنة ٦٣ (الطبري: ٤ / ٣٧٤) وفي هذه المدة غادر كثير من أهل المدينة، وبعضهم خرجوا منها قبل وصول الجيش الأموي، وأرسل الإمام زين العابدين عليه السلام عياله ومن حماهم في تلك الفترة إلى ينبع، (الخرائج: ١/ ٢٩٠) . وبقي بعض عياله في المدينة.

وروت المصادر أن الإمام عليه السلام كان يتخوف من وحشية جيش يزيد أن تصل إليه، وهذا طبيعي حتى وإن كان الإمام عليه السلام يعرف أنه سينجو من القتل لأنه قد يلاقي غير القتل. وحتى لو بلغه عليه السلام أن يزيداً أوصى قائده بعدم التعرض له، فإن بن عقبة طاغية سفاك للدماء، مبغض لأهل البيت عليهم السلام، ولا يحترم مروان بن الحكم ولا غيره سوى شخص يزيد! فمن الممكن أن يرتكب أي حماقة ثم يغفر له يزيد لتاريخه في خدمة بني أمية !

فلذلك أن خطر إقدامه على قتل الإمام عليه السلام كان قائماً حتى مع وصية يزيد!

وتفاوتت الروايات في مجيء الإمام عليه السلام إلى الطاغية ابن عقبة، فأشار بعضها إلى أن الإمام عليه السلام كان غائباً عن المدينة، وأنه أخّر مجيئه حتى كان الطاغية بن عقبة يسأل عنه ويتهدده ويتوعده.

لذلك نرى أن رواية المسعودي التالية أقرب إلى الصحة، قال في مروج الذهب / ٧١٩: (ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأُتيَ به إلى الطاغية مسرف وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قُدِّم إلى السيف إلا شفَّعَه فيه ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت : اللهم رب السماوات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من